رأي القدس

العراق: لوم الجميع الا امريكا

■ في ظل جهوده المتواصلة من اجل نشر الديمقراطية والحريات في العالم بشكل عام، والعالم الاسلامي بشكل خاص، كشف الرئيس الامريكي يوم امس الاول عن استراتيجية جديدة طورتها وزارة خارجيته، والخبراء العباقرة فيها، لتسويق المزيد من الحروب في العالم.

فبينما كان يقول في الماضي انه سيجلد الارهابيين، وان العراق هو الجبهة المركزية في محاربة الارهاب، وقوة رئيسية من اجل الديمقراطية في الشرق الاوسط، وحليف قوي يعتمد عليه، الان يحاول الرئيس بوش ومستشاروه تبرير الكوارث التي لحقت بالعراق بالقاء اللوم على الاخرين.

فالكثيرون يتحملون مسؤولية الانهيار الراهن في العراق على الصعد كافة، باستثناء الادارة الامريكية والرئيس جورج بوش شخصياً. فهؤلاء ابرياء من كل لوم.

المسؤولون عن الوضع المتردي في العراق هم تارة المقاتلون الاجانب المدعومون من سورية، ثم تارة اخرى المدعومون من ايران، ويتجاهلون ان هناك شعباً عراقياً يرفض الاحتلال، وان هناك ادارة امريكية استعمارية تتخبط في قراراتها، ولا تملك استراتيجية واضحة لعراق ما بعد الاحتلال.

القادة العسكريون البريطانيون الذين شاركوا زملاءهم الامريكيين في الحرب لاطاحة نظام حزب البعث، اشتكوا مر الشكوى من سذاجة الجنرال غاردنر حاكم العراق الاول، وكرروا الشيء نفسه تجاه بول بريمر الحاكم الثاني الذي ارتكب حماقات عدة، من ابرزها حل الجيش العراقي وتدمير مؤسسات الدولة، وتعيين فاسدين في المناصب العليا، وغض النظر عن عمليات النهب للمال العام في وزارات عراقية معينة.

العراقيون يمثلون شعباً كريماً عزيز النفس، صاحب تراث حضاري عريق، ومن الطبيعي ان لا يقبل هؤلاء الاحتلال الاجنبي لبلادهم، وان ينخرطوا في صفوف حركات المقاومة التي تريد ازالته وتحرير البلاد من وجوده.

ريتشارد بيرل مساعد وزير الدفاع الامريكي اعترف في محاضرة القاها مؤخرا بان الحرب الامريكية في العراق تتجه بسرعة الى الفشل، والشيء نفسه ردده فوكوياما منظر المحافظين الامريكيين الجدد وصاحب مقولة نهاية التاريخ.

وبيرل او «امير الظلام» كان من اكثر الصقور الامريكية تبنياً لقرار الحرب ضد العراق، ولكنه يؤمن بان اكبر خطأ ارتكبته الادارة الامريكية هو الاحتلال وتفكيك مؤسسات الدولة. ويعترف بان القوات الامريكية من الصعب ان تنتصر في العراق، لان جميع تجارب الاحتلال الاجنبي السابقة انتهت بالانسحاب المهين.

القوات الامريكية ستنسحب قطعا من العراق ان آجلا او عاجلا، ولكن اي عراق سيبقى بعد هذا الانسحاب. فالعراق الحالي الذي نراه عراق مقسم مجزء تنخره الطائفية البغيضة، وينجرف بسرعة نحو هاوية الحرب الاهلية. والادارة الامريكية، والرئيس بوش بالذات هو الذي يتحمل المسؤولية الكبرى في هذا الصدد، وليس المقاتلون الاجانب، لانه هو الذي فتح صندوق الافاعي في العراق على مصراعيه.

العرب والمسلمون... حالة إستعصاء!

د. عصام نعمان *

■ هل تحوّل العرب في العقل الأمريكي حالةً عصيّة على الفهم وغير قابلة للتعامل معها؟

هذا ما يستنتجه المرء بعد الإطلاع على مقالة الكاتب السياسي الأمريكي دايفيد بروكس في «إنترناشيونال هيرالد تريبيون» بتاريخ 2006/3/6.

صحيح أن بروكس ليس بالضرورة ممثلا للعقل الجمعي الأمريكي، لكن ما قاله يعبّر، إلى حدّ بعيد، عن مشاعر وسلوكيات ومواقف أوساط كثيرة في أروقة السلطة ومراكز الأبحاث ووسائل الأعلام وأندية المجتمع الأهلي.

اذْ يتخوف بعض قادة الرأي والسياسيين من ان يؤدي تعثر سياسة جورج بوش في العراق إلى نزوع أمريكي جديد نحو الانعزالية في السياسة الخارجية، يخالف بروكس هؤلاء جميعاً بقوله «إن العراق، بإختصار، ليس فيتنام، فقد تسببت حرب فيتنام في نقل أمريكا من حالة إنصراف الإهتمام إلى كل ما هو خارج الذات إلى ما هو داخلها، في حين ان حرب العراق تنطوي على دينامية مختلفة... بمعنى أن التأثير الرئيس للعراق ليس في دفع أمريكا إلى الانعزالية بل في نقل الرأي العام الأمريكي من شكل معين من إشكال الأممية (العالمية) إلى شكل آخر». ذلك أن جورج بوش، في رأي بروكس، إنطلق من فرضية مفادها أن العرب لا يختلفون عن غيرهم من الأمم، وانه يمكن جذبهم إلى أسرة الأمم الديمقراطية. والحال أن هذا النمط من التفكير آخذ بالإضمحلال.

إن الأممية البازغة التي يرصدها بروكس تستند، على نحو مغاير، إلى ما يسميه «الاستثنائية العربية». إنها الإعتقاد بإنه «في حين يتحرك معظم العالم نحو مستقبل متكامل عالميا، فإن العالم العربي يبقى أسير دوامة رعب تعود إلى العصور الوسطى». من هنا يذهب بروكس إلى الإستنتاج بأنه يتعذر على البلدان العربية أن تصبح ديمقراطية في مدة وجيزة، ذلك أن شعوبها ليست مهيأة لتقبّل الحداثة التعددية. وإستناداً إلى هذه «الحيثيات» يلفظ بروكس حكمه المبرم: «يجب عزل العرب حتى لا يتسنّى لهم أن يتسببوا في إيذائنا مرة أخرى»!

هل تأذى الأمريكيون من العرب، ومتى حدث ذلك؟

هل الفلسطينيون من حرض اليهود الصهاينة على غزو أمريكا وساعدوهم على إقتلاع مجاميع من شعبها في ولاية نيويورك، مثلا، وعلى قذْفهم إلى خارجها كلاجئين يعيشون في مخيمات خانقة في المكسيك؟ هل العراقيون هم من قصفوا، مثلا، ولاية ماساتشوستس بالصواريخ والقنابل الفوسفورية، ثم قاموا بإحتلالها وقتل آلاف من شعبها، واجتياح مدنها ومتاحفها وسرقة كنوزها ومخازنها؟ هل السعوديون هم من فرضوا على امريكا حصارا وعقوبات اقتصادية وجوّعوا شعبها وقطعوا عنها النفط والغاز؟

إن بروكس لا يشير البتة إلى مصادر الأذى العربي ومواقع فعله في أمريكا. بالعكس، هو يعترف بأن ثمة عداء عنصرياً عميقاً من طرف الأمريكيين ضد العرب رغم انهم يحاذرون التصريح به للقائمين بإستطلاعات الرأي. غير ان هذا العداء يظهر من خلال ردة الفعل العارمة ضد صفقة شركة موانىء دبي، ومجاميع الناس الذين يرغبون في أن تنهي أمريكا إعتمادها على نفط الشرق الأوسط، وشجب تظاهرات السخط رداً على الرسوم المسيئة للرسول الكريم. بل ان بروكس يؤكد بأن ثمة تحوّلا سلوكياً مماثلا أخذ يتبدى في أوروبا بشكل جارف.

لا ينسى بروكس ان بلاده تقترب من استحقاقات الإنتخابات النصفية في مطلع تشرين الثاني (نوفمبر) المقبل، فتراه يتنبأ بان الناخبين سوف يجروّن المرشحين بقوة وجرأة وشراسة إلى حيث لا حديث البتة عن نصرة الحرية بل الى حيث المنافسة تتركز حول مَن منهم سيكون الأشرس في مقاتلة هلال الإسلام!

اذْ يتحول الجلاد، تفكيراً وتعبيراً، عند بروكس ضحيةً تطلب الثأر، تراه يُطلق مرةً أخرى حكماً مبرما : «إن أمريكا لا تتطور إلى مزيد من الانعزالية بل ان الأمريكيين سيكونون سعداء في الإندماج مع العالم كله بإستثناء العرب لا غير»...

هكذا يتضح ان «الإستثنائية العربية» في مفهوم بروكس تعني بكل فظاظة نبذ العرب بل حبسهم ضمن جدران لمنع العالم من التعاطي معهم. انها العنصرية بأجلى معانيها والتمييز بأشرس ممارساته.

هل العرب وحدهم من سيتحمّل كل هذه العنصرية والشراسة؟

كلا بالتأكيد. فمنذ نحو شهرين خاطب بوش مجلسي الكونغرس والشعب الأمريكي من خلال «رسالة حال الاتحاد»، فجزم بان أمريكا تخوض حرباً لا هوادة فيها ضد «الإسلام الراديكالي». ما الإسلام الراديكالي؟ إنه المسلمون جميعاً، عقيدةً وثقافةً وشعوباً ودولاً ومجتمعات وجماعات. ألا تتبدى هذه الهجمة البوشية بأبشع صورها في العراق وأفغانستان، وهي آخذة طريقها أيضاً إلى إيران؟

الحقيقة ان بوش وعصبته في صدد مزيد من التصعيد في هذا المجال. فصحيفتا «واشنطن بوست» الأمريكية و«هآرتس» الإسرائيلية تؤكدان ان واشنطن تعتزم انتهاج سياسة من شأنها تصعيد التوتر في المنطقة من خلال ممارسة ضغوط متزايدة على طهران، تستهدف «إسقاط» النظام الإيراني وتركيز الضغوط مجددا على المسؤولين في دمشق تحت شعار «إننا لم نصفِ حسابنا معكم حتى الآن»!

أكثر من ذلك: بحسب الصحيفة الأمريكية، فقد إنتصر الفريق المؤيد لإسقاط النظام في إيران داخل ادارة بوش. اما بحسب الصحيفة الإسرائيلية، التي نقلت تقريرها عن مسؤولين أمريكيين، فإنه يجب إجبار دمشق على تطبيق بنود القرار 1559 لاسيما لجهة تجريد حزب الله من سلاحه ووقف «تهريب الأسلحة» إلى لبنان وإجراء إنتخابات رئاسية «حرة» فيه.

هكذا يتضح ان ادارة بوش التي فقدت صدقيتها بعد إخفاقها الإستخباراتي في موضوع أسلحة الدمار الشامل العراقية، لا تجد طريقة لإقناع الامريكيين والعالم بأنها محقة هذه المرة في شأن خطر إيران النووي غير تخويف الجميع بأن دولةً يسيطر عليها مسلمون، متطرفون، متعصبون، مكروهون ومنبوذون من العالم اجمع هم مؤهلون، بالسليقة والعقيدة والتعصب، لقتل البشر وتدمير المدنية.

كيف نردّ كيد أمريكا البوشية إلى نحرها؟

* كاتب وسياسي من لبنان

قرار تسليم سجن ابو غريب يفتح ملف التعذيب الامريكي

د. سعيد الشهابي *

■ القرار الامريكي بالتخلي عن «أبوغريب» كسجن للمعتقلين العراقيين له مدلولات عديدة، بالاضافة الى ما يثيره من تساؤلات مشروعة حول حقيقة القيم الامريكية في ما يتعلق بقضايا حقوق الانسان والمعاهدات الدولية التي تحرم ممارسة التعذيب. هذا القرار لا يمكن فصله عن سياقاته السياسية والأمنية، ولا عن مشروع الحرب ضد الارهاب الذي تصر الولايات المتحدة على التشبث به. فهذا السجن كان معروفا لدى المعارضين العراقيين منذ السبعينات، بسمعته المرعبة واكتظاظ زنزاناته بالسجناء، اذ تذكر التقارير ان 4000 من العراقيين اعدموا فيه في 1984 فقط. ولكنه ازداد شهرة بعد إسقاط النظام السابق وهيمنة القوات الامريكية على كافة مرافق البلاد. وعندما ظهرت الفضائح الاولى قبل عامين (شهر ابريل 2004) متمثلة بصور التعذيب الوحشي واساءة معاملة السجناء العراقيين، حدثت ضجة عالمية ضد ما كانت القوات الامريكية تمارسه بحق المعتقلين العراقيين خصوصا في ذلك السجن. ومنذ ذلك الوقت برز أبوغريب عنوانا للانتهاكات الامريكية لحقوق الانسان، وأصيب العالم بصدمة كبرى وهو يرى أكبر دولة في العالم تنتهك أهم القوانين التي أنجزتها البشرية في نصف القرن الأخير، وتناقض شعاراتها التي ترفعها بين الحين والآخر حول الديمقراطية وحقوق الانسان. واذا كان التعذيب يمارس في سجون الكثير من الدول المتخلفة بشكل سري لا يشعر به أحد، فان ما يمارس في السجون التي تدار من قبل الامريكيين سواء في العراق ام غوانتنامو ام في الاراضي الامريكية، أمر مكشوف ومعروف، تؤكده افادات الضحايا، وتصريحات المسؤولين. كما تؤكده بشكل لا يقبل النقاش الصور الكثيرة والافلام التي تم تسريبها من داخل المعتقلات والتي لا تقبل الشك. وقد أدين حتى الآن تسعة من الجنود ذوي الرتب العسكرية المتواضعة في القوات الامريكية في العراق، ولكن أحدا من المسؤولين الكبار لم تجر محاسبته حتى الآن، مع ان ممارسات الجنود الصغار انما هي تنفيذ للاوامر المنحدرة من الاعلى.

في الاسبوع الماضي بثت القناة الرابعة بالتلفزيون البريطاني برنامجا مهما حول معاناة السجناء المسلمين في معسكر غوانتنامو، اعتمادا على شهادات ثلاثة شبان بريطانيين مسلمين تم الافراج عنهم العام الماضي بدون تهمة او محاكمة. احتوى البرنامج على أدلة دامغة على ممارسة التعذيب كاجراء يومي ضد السجناء، ومن بينها اهانة القرآن الكريم ومنع المعتقلين من الصلاة في بعض الاحيان. اما اساليب التعذيب فتشمل الضرب المبرح وتعريض المعتقلين للشمس الحارقة ساعات متواصلة، وإزعاجهم بالموسيقى الصاخبة لفترات طويلة، وحرمانهم من النوم، وتسليط الكلاب عليهم، والتحرش الجنسي بهم، وغير ذلك من الاساليب الحاطة بالكرامة الانسانية. كما اشتمل البرنامج على تصريحات لعدد من المسؤولين الامريكيين الكبار من بينهم الرئيس جورج بوش ووزير الدفاع دونالد رامسفلد، تبرر المعاملة الوحشية للسجناء او تقلل من شأنها. من هذه التصريحات ما جاء على لسان بوش لتبرير ممارسة التعذيب: «انهم قتلة، لا يؤمنون بالمبادىء التي نؤمن بها». فهل يصلح الاختلاف في المبادىء مبررا للتعذيب والاهانة وانتهاك حقوق الانسان؟. لقد كان البرنامج شهادة موثقة ضد القيم الامريكية والشعارات التي ترفع بين الحين والآخر والتي طرحت مبررا لغزو العراق بعد ان فشلت القوات الانجلو – أمريكية في العثور على أسلحة دمار شامل في ذلك البلد. رفع تلك الشعارات صاحبه طرح مشاريع براقة من بينها مشروع «الشرق الاوسط الكبير» الذي طرح بعد حوادث 11 ايلول (سبتمبر) ومشروع «الشراكة الديمقراطية» الذي طرحه كولن باول بعد حرب العراق. وبدا لوهلة ان الولايات المتحدة عازمة فعلا على الترويج للديمقراطية واحترام حقوق الانسان، ولكن سرعان ما تراجعت عن تلك المشاريع.

في الفترة الاخيرة صدر كتاب بعنوان: انها مسألة تعذيب: الاستجوابات التي تقوم بها سي آي ايه من الحرب الباردة الى الحرب ضد الارهاب لمؤلفه ألفريد ماكوي، أستاذ التاريخ بجامعة ويسكونسين الامريكية. يشرح المؤلف في كتابه تطور اساليب التعذيب ومواقف الادارات الامريكية المتعاقبة من هذه المسألة وترددهم في منعه بشكل كامل. وحتى العام 1994 بقيت ادارة الرئيس كلينتون مترددة في تصديق معاهدة منع التعذيب، وقامت بارسال المعاهدة الى الكونغرس مع اربع فقرات تحتوي على تحفظاتها حول المعاهدة، وقد أقر الكونغرس المعاهدة والتحفظات ايضا، وبذلك تم منع التعذيب الجسدي وبقي التعذيب النفسي ممارسة مقبولة في السجون الامريكية. يقول مؤلف الكتاب في مقابلة له نشرت مؤخرا: في بداية الحرب ضد الارهاب في نهاية 2002، عين دونالد رامسفلد الجنرال جيفري ميللر رئيسا لمعسكر غوانتنامو لان الرؤساء السابقين كانوا متساهلين نوعا ما مع المعتقلين. وقد حول ميللر المعسكر الى ما مختبر للبحث السلوكي، او بمعنى آخر، مختبر للبحوث في التعذيب... وتمت اضافة نوعين من التعذيب وهما الاعتداء على الحساسيات الثقافية في ما يتعلق بحساسية الرجال العرب ازاء قضايا النساء والهوية الجنسية، وتحديد الامور التي ترعب كل شخص لممارستها ضده. وفي 2003 اكتمل مشروع التعذيب حسب ما تريد سي آي ايه، اذ اصبح الاعتداء كاملا على النفسية الانسانية، في اطار ما سماه المؤلف «مشروع الألم لـ سي آي ايه».

الهدف الاول للتعذيب هو كسر الارادة الانسانية لدى المعتقل، اذ يصبح بعض الضحايا، تحت التعذيب الشديد، بلا ارادة، ويقدمون للمعذبين ما يريدون من معلومات. فالارادة هي التي توفر للانسان القدرة على التحكم في ما لديه من معلومات، وبالتعذيب تضعف تلك الارادة. مع ذلك، يسود الآن اعتقاد لدى الأخصائيين النفسيين بان التعذيب قد لا يوفر المعلومات التي يبحث عنها المعذبون. فمن يتعرض لتعذيب طويل سوف يقول كل شيء من اجل ايقاف التعذيب والاعتداء. وبالتالي فمن المحتمل ان تكون المعلومات عامل تضليل للمعذب، لانها تقدم على اساس انها هي ما يريده المعذب وليس الحقيقة. بالاضافة الى ذلك فالتعذيب قد لا يكون بهدف الحصول على المعلومات، بل لتلبية نزوات شيطانية في نفس المعذبين. وهذا ما حدث في سجن أبو غريب. فالحراس مارسوا التعذيب والاهانة بهدف اهانة المعتقلين والاستمتاع بذلك، وهذا يمثل نوعا من السلوك السادي (التلذذ بآلام الآخرين) الذي يفقد الانسان به انسانيته، اذ يستمتع بمنظر الألم والعذاب وينتشي بذلك. وتؤكد المعلومات ان ممارسة التعذيب بمعسكر غوانتنامو لم يحقق انجازات امنية تذكر. فبعض المعتقلين ازداد صلابة بسبب ما تعرضوا له من تعذيب. وبعضهم لم يكن لديه معلومات مفيدة أساسا لانهم اعتقلوا على أرضية هشة من المعلومات الخاطئة. والبعض الآخر ربما قدم معلومات مضللة للمعذبين. مهما كان الامر، فان الامريكيين فشلوا حتى الآن في تقديم تهم حقيقية ومحددة لأكثر من عشرة أشخاص، بينما تجاوز مجموع الذين اعتقلوا في ذلك المعسكر 700، وما يزال 500 منهم يقبعون بين اسوارها في حلل السجن البرتقالية اللون، التي اصبحت مرتبطة بسوء المعاملة واهانة الكرامة الانسانية على نطاق واسع. وحتى الحلفاء الاوروبيون لم يستطيعوا الصمت على ما يجري في ذلك المعسكر، فأطلقوا مناشدات كثيرة لاغلاق ذلك السجن وانهاء الفصل المأساوي المرتبط به. وأصدر الفاتيكان الاسبوع الماضي مناشدة لغلق معتقل غوانتنامو. وفي مطلع هذا الشهر اصدرت الامم المتحدة نداء واضحا للحكومات والمدافعين عن حقوق الانسان وجميع اعضائها في العالم لارسال رسائل واضحة الى الحكومة الامريكية بان الوقت قد حان لغلق سجن غوانتنامو. وقال التقرير الذي كتبه خبراء الامم المتحدة ان اساليب التحقيق المسموح بها في ذلك السجن تنتهك معاهدة منع التعذيب، وان القوانين الدولية تنطبق على ذلك السجن، وان الولايات المتحدة ملزمة بمحاكمة المعتقلين وفق قوانينها او اطلاق سراحهم. اما سياسة اعادة بعض المعتقلين الى بلدانهم لسجنهم او محاكمتهم، فقد تعرضت لانتقادات دولية واسعة لعدم امكان ضمان سلامة هؤلاء في بلدان معروفة بممارسة التعذيب كممارسة روتينية..

ويأتي قرار اغلاق سجن ابوغريب في غضون ثلاثة شهور على خلفية المطالبة الدولية بغلق سجن غوانتنامو في كوبا. فقد تمرغت سمعة الولايات المتحدة في كافة انحاء العالم، واصبح الامريكيون انفسهم يشعرون بعبء سياسات البيت الابيض ويخشون من انعكاساتها السلبية على الامن القومي الامريكي، بدلا من تحسين الظروف الامنية المحيطة بهم. فمن جهة اصبح السجن مثارا للغضب الشعبي في كل مكان، بعد انتشار صور التعذيب المهينة، وظهور القوات الامريكية بصورة وحشية في تعاملها مع السجناء، في الوقت الذي يفترض ان تكون تجربة الامريكيين الطويلة في انحاء العالم قد أكسبتهم خبرة كافية لتحديد المذنب من البريء ومحاكمة المذنب في غضون فترات منسجمة مع نصوص الاتفاقات الدولية. وتسليم السجن للحكومة العراقية سيلقي عبئا ثقيلا عليها وسيضعها على محك التجربة الصعبة بسبب الاعداد الكبيرة للسجناء وخلفياتهم المختلفة وعدم وضوح الارضية التي اعتقلوا عليها. فهناك الآن حوالي 15 الف معتقل في اربعة سجون في العراق، اكثر من نصفهم في سجن بوكا في الجنوب. اما ابوغريب فقد ارتبط اسمه مجددا بسوء المعاملة والتعذيب على ايدي قوات الاحتلال الامريكية، ومن الافضل للحكومة العراقية التخلص منه جملة وتفصيلا لانه يمثل عبئا اخلاقيا وسياسيا بسبب ارتباطه بالعهد السابق والعهد الامريكي الذي تلاه. وقد اعترف الميجور جنرال انتونيا تاجوبا في نيسان (ابريل) 2004 بان الجنود ارتكبوا فيه «اعمالا شنيعة وانتهاكات خطيرة للقانون... وانتهاكات اجرامية سادية وفاضحة». ولم تتحسن سمعة الامريكيين بمحاكمة عدد من الجنود المتهمين مثل ليندي انجلاند التي اشتهرت بصورتها وهي تجر احد المعتقلين بحبل من رقبته، ولم تقلل تلك المحاكمات من الانتقاد الدولي للممارسات الامريكية.

صحيح ان سمعة الولايات المتحدة لم تكن يوما نظيفة لدى الرأي العام العالمي، خصوصا بعد القاء القنبلة الذرية على هيروشيما وناغاساكي في الحرب العالمية الثانية، والحرب في فيتنام، ولكن تلك السمعة السيئة كانت بسبب السياسات الامريكية الجائرة في العالم، وليس على اساس الانتهاكات الواسعة لمعايير حقوق الانسان وممارسة التعذيب. وبرغم محاولات المسؤولين الكبار القاء اللوم على صغار الجنود والمسؤولين، فهناك من الادلة ما يكفي لادانة القوانين والنظام الامريكي كله بهذه الممارسات. وسوف يسجل التاريخ لعدد من كبار المسؤولين ابتداء بالرئيس ووزير دفاعه عدم اكتراثهم بالقيم الاساسية للانسان وحقوقه، وحصر سياستهم بتحقيق اهداف عسكرية وامنية واقتصادية بأية وسيلة مهما كانت منحرفة او متناقضة مع القوانين الدولية. فاذا كانت واشنطن مستعدة لشن حرب ضد العراق برغم الاعتراضات الدولية على ذلك، فانها مستعدة ايضا للقيام بممارسات من النوع الذي انتشر في ابوغريب وغوانتنامو. وبالتالي فان دعوتها للديمقراطية وحقوق الانسان في العالم لم يعد لها صدى، بل أصبحت فارغة تتردد بلا معنى اومصداقية. وقد اضطرت سياساتها اقرب الحلفاء لها لاعلان امتعاضهم من استمرار تلك الانتهاكات، ولم يكن الموقف الدولي اكثر استقطابا مما شهده حول قضية تعذيب السجناء في غوانتنامو وابوغريب. واذا كان قرار غلق سجن ابوغريب محاولة للالتفاف على الموقف الدولي، فان استمرار سجن غوانتنامو وسياسة الترانسفير للسجناء الذين لم يثبت جرمهم، من شأنه استمرار ازمة الثقة ليس في السياسات الامريكية فحسب، بل حتى القيم والمثل التي يطلقها الساسة الامريكيون بين الحين والآخر. ومن شأن هذا الوضع ان ينقلب جوهريا ضد الولايات المتحدة، وان يحدث استقطابا اوضح حتى داخل معسكر الحلفاء الغربيين. فمن غير الممكن للساسة الحلفاء للولايات المتحدة الاستمرار في الدعم المطلق بلا حدود لسياسات اصبحت مثارا للسخط والتقزز ليس على مستوى العرب والمسلمين فحسب، بل على الصعيد العالمي في الشرق والغرب والشمال والجنوب. لقد دعا الاتحاد الاوروبي والبرلمان الاوروبي والمنظمات الحقوقية الدولية والامين العام للامم المتحدة والفاتيكان لغلق سجن غوانتنامو، ومع ذلك ما يزال الساسة الامريكيون يصرون على ذلك، أليس ذلك تعنتا يستدعي عملا دوليا مشتركا لمحاصرة هذه الاعمال غير الانسانية بلا تردد او تأخر؟

* كاتب وصحافي بحريني يقيم في لندن

السودان والقسم بالله العظيم

محمد كريشان

■ فعلها من قبل الرئيس عمر البشير أكثر من مرة وها هي تتحول على ما يبدو إلى تقليد حكومي في الخرطوم: «أقسم بالله العظيم، أقسم بالله العظيم، أقسم بالله العظيم»... كررها هكذا غليظة الرئيس السوداني قبل عدة أشهر ليقول أنه لن يسلم مواطنا سودانيا واحدا لمحاكمته خارج البلاد ثم أعادها ثانية مؤخرا ليؤكد أنه لن يقبل قوات دولية في إقليم دارفور المضطرب وجريا على ما بات ربما سنة حميدة في السياسة السودانية أعاد نفس القسم وزير دفاعه عبد الرحيم محمد حسن.

من حق السودان طبعا أن يتخذ من المواقف ما يناسبه فهو يفترض الأدرى بمصالحه ولكن قد لا يكون من الملائم أن يزج بالله عز وجل في دارفور أو غير دارفور فالمواقف السياسية، سواء كانت رخوة أو صلبة، لا تحتاج لهكذا قسم حتى نتبين جديتها من عدمه فالممارسة وحدها هي الفيصل. وباستثناء أسامة بن لادن زعيم تنظيم القاعدة الذي رفع سبابته معلنا قسمه الشهير أن الأمريكيين لن ينعموا بالأمن إذا لم ينعم به المسلمون، لا أذكر أن سياسيا لجأ إلى هذا الأسلوب لتأكيد تمسكه بموقفه بما لا يحتمل الشك مطلقا فحتى آية الله الخميني وما مثله من مرجعية دينية لملايين الناس، وهو ليس حال البشير على أية حال، لم يقسم بالله مثلا أن حربه مع العراق ستستمر إلى أن يهزم نظام صدام حسين الشيء الذي جعله يقبل وقف إطلاق النار معه عام 1988 وكأنه «يتجرع السم» حسب تعبيره آنذاك.

السياسة فن الممكن وما يقبله المشتغل في هذا الحقل اليوم، فما بالك بمسؤول حكومي أو رئيس الدولة، قد يرفضه لاحقا والعكس صحيح حسب مجموعة عوامل متداخلة تسهم مجتمعة في تقدير الموقف ودفعه في هذا الاتجاه أو ذاك، وهو في انتقاله بين هذه الضفة والأخرى يبذل قصارى جهده لتبرير هذا التغيير بنجاح متفاوت تجاه جمهوره ومناصريه وحتى خصومه ولكنه في كل الأحوال لن يجد نفسه في موقع محرج يبرر فيه تراجعه عن قسم غليظ بالله تعالى لأنه في هذه الحال أمام معضلتين واحدة سياسية وأخرى شخصية وأخلاقية. لنتخيل قليلا ماذا لو اختار السودان أو اضطر لقبول قوات دولية في دارفور لأن شروط وجودها تغيرت بشكل مرض سواء من حيث الإشراف أو التركيبة أو الصلاحيات أو أي شيء آخر، أي وضع مربك سيجد من أقسم بالله أن يحول الإقليم المضطرب إلى مقبرة لها؟! كل المسؤولين في العالم سواء كانوا في حكومات أو أحزاب معارضة أو حركات تحرر وطني غيروا مواقفهم في مسيراتهم السياسية مليون مرة فجاز وصفهم من قبل خصومهم وربما حتى مريديهم بالمتراجعين أو المتذبذبين أو المستسلمين أو المتقلبين وفي أسوأ الأحوال بالكذابين ولكن على كل لن يوصموا بالكذابين رغم القسم برب العالمين.

القسم أمر جليل وعادة لا يلجأ إليه إلا لتأكيد وزر الأمانة والمسؤولية عندما يتولى أحدهم موقعا يتحكم في البلاد ورقاب العباد أو عندما يقف أمام محكمة تريد الوصول إلى الحقيقة وإحقاق الحق ولا يجوز أن يقع التعاطي معه بهذه الخفة بحثا عن تصفيق الجماهير وإثارة حماستها اللهم إذا افترضنا أن المسؤولين السودانيين سيفضلون، إذا ما جد الجد، ترك السلطة على إسقاط قسمهم وهذا ما لم تؤكده تجارب سابقة في كل مرة وجد فيه أي مسؤول نفسه في وضع وازن بين البقاء في الكرسي وبين أي شيء آخر حتى وإن كان رب الكون.

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان
رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط) ـ
فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف: 5337920 فاكس: 5337928 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) **Fax:** 0208-741 8902 / 748 7637
*email: alquds@alquds.co.uk * Internet: www.alquds.co.uk*
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).
Tel/Fax: (202) 3901523
Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco
Tel/Fax: (212 37) 770594
Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.
Tel: (9626) 5337920 **Fax:** 5337928
Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364

Al-Quds Al-Arabi
daily Independent News Paper
Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.
Editor In Chief
ABDEL BARRI ATWAN